

كيف أسمو بعلاقتي مع القرآن؟

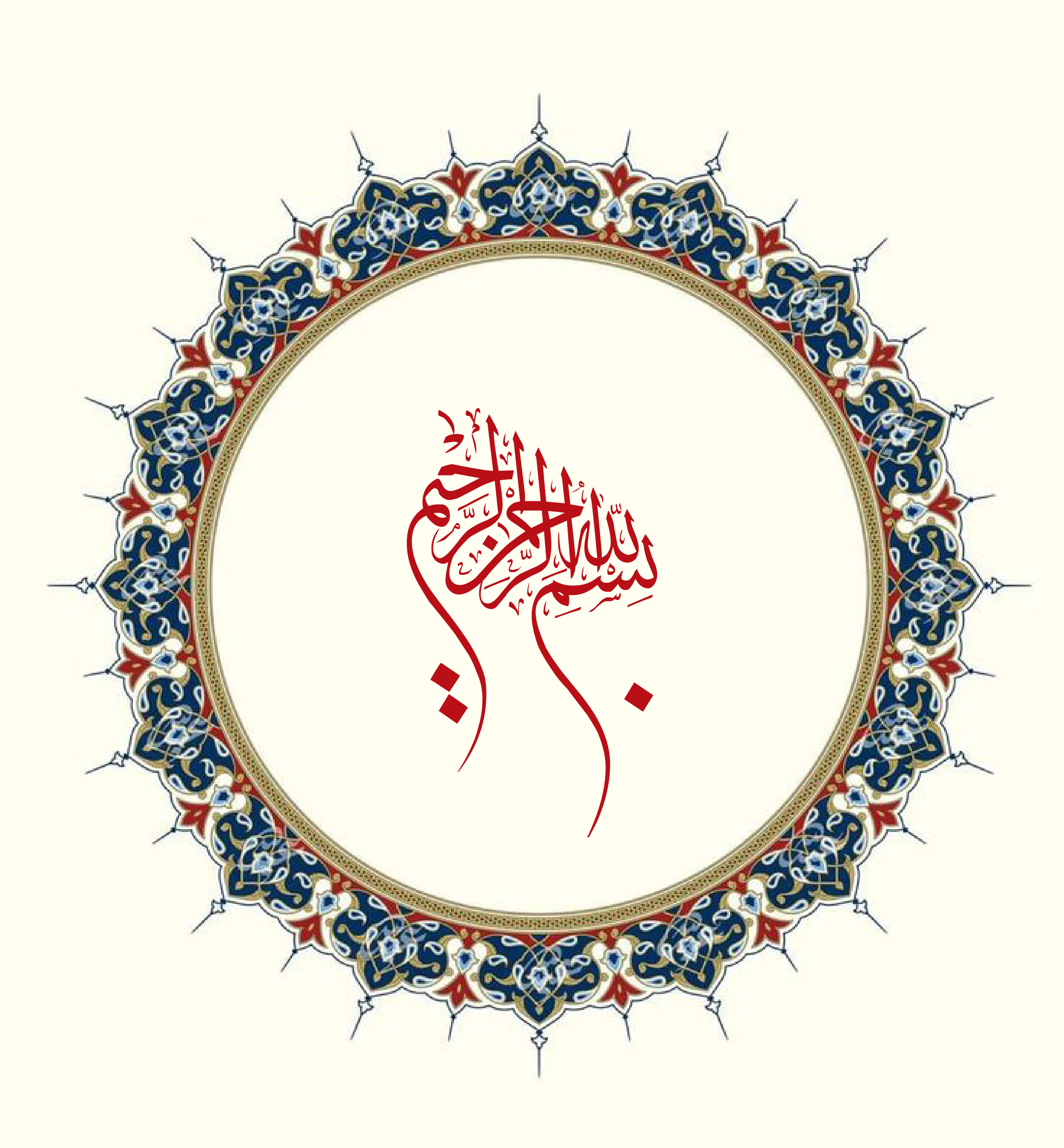
تأليف

سناء بنت عبد الواحد خياط

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمدُ لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجًا، وجعلـه لعبـاده ضياءً ونورًا، وشـفاءً لما في الصـدور، وصلى الله وسلم على مَن بعثَه ربُّه بين يدَي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنِه وسِراجًا منيرًا.

إن الحديثَ عن القرآن حديثٌ عظيم، فهو كلام ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وحين نتناول حديثًا عن القرآن، فإننا نتحدث عن كلام الله المُعجِز الذي لا يأتيه الباطل من بين يدَيه ولا من خَلفه، كتاب عزيزٌ تتجلَّى فيه عظمة الخالق وحِكمتُه وواسع رحمته.

وإني لأحمد الله عَزَّوَجَلَّ **أن أَذِن لي أن أتكلم في كتاب الله العزيز،** ولـو أردتُ أن أُسـهب في الحديـث عـن كلامِـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لمـا كفتني صفحـاتٌ وصفحات، ولأفنيـتُ -والله- العمـرَ كُلَّه ولم أنتـهِ من الحديث عن كتاب الله تعَالَى الذي نزل به الروح الأمين؛

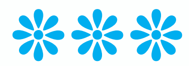
لذا ستكون هذه السطور محاولةً متواضعةً بإذن الله- لبيان كيف ينبغي أن تكون عَلاقةُ المؤمِن بكتاب ربِّه العزيز.

وهي دعوة للتأمل في العلاقة التي يجب أن تكون بيننا وبين القرآن الذي أنزله الله نورًا نهتدي به في ظُلمات الحياة، وكيف يمكن أن نسمو بهذه العلاقة ونوطِّدَها حتى تتهيأ قلوبنا لاستقبال هدي القرآن وإشراقاته في كل جوانب حياتنا.

وأسأله جلَّ في علاه أن يوفِّقني في هذا السعي، وأن يرزُقَني ومن قرأ كلماتي فهمًا لكتاب الله، وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين يتلونه آناءَ الليل وأطراف النهار، ويعملون بما أُنزل فيه.

وكتبته

سناء بنت عبد الواحد خياط



لماذا يجب علينا أن نعتني بعلاقتِنا مع القرآن؟

لقد كان لسلف الأمة رضوان الله عليهم علاقةً قوية ومتينة مع القرآن، بينما ساءت في زمننا هذه العلاقة، ونعزِّي أنفُسَنا؛ لأننا أُبتلينا بكثرة الكلام وقلة العمل، فلا نأخذ من العمل بالقرآن إلَّا قليله، وكم كثُرت في زَمانِنا حِلَق الحفظ والمراجعة، في حين زَهِد العديد في العمل به.

ولست هنا أقلِّل من شأن الحفظ، أو من أهميته، فنحن بحاجة إلى حفظ القرآن وتعاهده؛ حتى لا يتفلَّت مِن الصدور، ولكن لا ينبغي أن يكون الاعتناءُ بالحفظ على حساب التدُّبر، والعملِ به والاشتغال به.

ولا بد للمؤمن أن يشتغل بالقرآن ويهذِّب به نفسَه الأمَّارة بالسوء، ويزكِّيها، فيبلغ بذلك المراتب العلى عند ربه جَلَّ وَعَلَا، ويا حسرة على أقوام حَفِظوا ولم يطبِّقوا آيةً مما حفظوه.

إننا نريد أن نجدِّد العهد ونوطِّد العلاقة مع كتاب الله العزيز، فلا يكون همُّ الواحد منا هو الوصول إلى نهاية الصفحة، أو نهاية السورة دون تأمُّل أو تدبُّر.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تَهُذُّوا القرآن هَذَّ الشعر، ولا تنثروه نَثْرَ الدَّقل، قِفوا عند عجائبِه، وحرِّكوا به القلوب»[1]، ولا يكن هَمُّ أحدكم آخر السورة، كما لا نريد أن يكون هَمُّنا أن يقال لنا: هنيئًا لك قد ختمت الحفظ!

ولا شك أن الحفظ نعمة، بل من أعظم النِّعم التي يمتن الله بها على عباده، لكن اجعل آثار حفظك تظهر في حُسن مَنطِقك؛ ورَجاحة عَقلِك، في عِفّة جوارحك وقلبك، في لِين جانبك، ينبغي أن تسمو بعَلاقتك مع القرآن، فتنتقل بهذه العلاقة من الشقاء إلى السعادة، ومن النار إلى الجنة، ومن الضلالة إلى الهداية، ومن الذُّلِّ إلى العزِّ، فالقرآن كما لا يخفى على عناية القارئ هو حَبلُ الله المتين، وروح المؤمِن وأُنسه في الدنيا، وشفيعه حين يلقى ربه.

يقول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] حتى نتأثَّر بالقرآن، وتبرأَ الأسقام، وتشفى القلوبُ من الآفات ومن الرَّان، علينا أن نعتني بعلاقتِنا مع القرآن ونولِيَها أقصى الاهتمام.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩٥٨)، وأصله في الصحيحين.

كيف هي عَلاقَتُك مع القرآن

معجزة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخالدة؟

لقد أنزل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا القرآن ليكون ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. «وسماه روحًا؛ لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير».(١) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد وصف الله تعالى كتابه العزيز بأحسن الأوصاف وأفخمها، وفيما يلي بعضٌ من أوصافه:

وُصِف القرآنُ بأنَّه الكتاب الحكيم الذي فُصِّلت معانيه وآياته، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: آية ٣] وهو الذِّكرُ المبين الذي لا شك فيه ولا ريب؛ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

وهو الكريم والعظيم، فلا يشوبه نقصٌ أو عِوَج ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: آية ٢٨] نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، إنه

---

(١) ينظر تفسير السعدي، سورة الشورى، آية ٥٢.

كتابٌ مبارك، كثيرُ النفع والخيرات والنِّعم؛ قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ [الأنعام: ٩٢].

لكن وآسفاه حين نرى مَن حولنا قد هجروا القرآن أشهرًا وأعوامًا، واستغنوا عن الشفاء والرحمة التي أنزلها الله تعالى لعباده المؤمنين العاملين بالآيات والذِّكر الحكيم، يقول تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء: آية ٨٢]، وهؤلاء لا يحصل لهم ارتباط به إلا ارتباطًا موسميًا وهِنًا، أوهن من بيت العنكبوت!

فإذا جاء رمضان، أو أقبلت بعض مواسم الخيرات، أقبل الناس على القراءة، لكن سرعان ما ينفك هذا الارتباط، وتنقضي خيوط العلاقة مع آخر ليلة من رمضان، أو مع نهاية المواسم، ثم تجد بعدها أن مصاحفهم قد وُضِعت على الرفوف في المكتبات...، وإنه لشيء جميل أن تكون البداية في مواسم الخيرات، لكن لا ينبغي أن تكون النهاية.

والذي يستحقُّ الذَّمُّ هنا هو تلك الفئة التي يكون دَيدُنها التلاوة في المواسم فقط، ولا يتقدَّمون خُطوة بعدها، فلا يعرفون للقرآن

سبيلًا إلا في رمضان أو العشر الأُوَل من ذي الحجة مثلًا، وهذا ما أعنيه بالارتباط المَوسِمي.

والله جَلَّ وَعَلَا ذمّ هـذه المسـألة؛ وهـي تَـركُ النـاس لكتاب الله العزيز، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على لسـان نبيه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقـان: ٣٠] فإذا اشـتكى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هجران قومه للقرآن في وقته، فماذا تراه سيقول عن حالنا؟!

هل سألت نفسَك لماذا ذكر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر؟

لأنه -بأبي وأمي هو- أرحـمُ الناس بأُمَّته، ولعلمه أن الطريق الوحيـد والسـبيل الأمثل للخروج مـن متاهات الظـلام إلى نور الحياة هو التمسُّك بهذا الحبل المتين، كتاب الله المبين.

والغايـة المرجـوّة من نزول كتاب ربنـا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هي هداية النـاس وإخراجُهـم من الظلمـات إلى النـور، قـال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

ما السبيل لتحقيق العلاقة المُثلى بالقرآن؟

كثيرًا ما يرِدني هذا السؤال؛ ما السبيل لتحقيق العلاقة المُثلى بالقرآن؟

والذي أعنيه بكلمة «علاقة» هو ذلك التواصل الدائم والمستمر، فعندما تربطني علاقة مع شخص له مكانة في قلبي، سيكون هناك تواصل دائم لا مجال فيه للهجران؛ لذا أحرص أيما حرص على حسن العهد وإبقاء الود.

ولتعلم -رحمك الله - أن هجرانَ القرآن من أعظم العقوبات التي يوقِعها الله جَلَّجَلَالُهُ على أهل الغفلة، وقد أخبر بذلك الذي لا ينطق عن الهوى فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**والقرآنُ حُجَّةٌ لك أو عليك**»[1]. فلا نريد هِجرانه، ولا نريد علاقة سطحية معه، أو موسمية وهِنة كما تقدم. بل نريد العيشَ في كَنَف القرآن، بعيدًا عن الدنيا وما فيها من مُنَغِّصات القلوب..



(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

كيف يتسنَّى لنا العيش مع القرآن وأن نسمو بعلاقتنا معه

حتى يتسنَّى لنا العيش مع القرآن ونسمو بعلاقتنا معه، لا بدَّ من الآتي:

أولًا: ينبغي النظر إلى حال القلب، ثم تطهيره وتخليته، وتنقيته من الشوائب؛ حتى نهنأ بالعلاقة مع القرآن، والمسلم الحقّ من يمنح نفسه حقَّها من صقل الروح بملازمة كتاب الله، فيتلو آياته بتأمل معانيه وما يجري على لسانه، حتى إذا أقبل على أهم ركن في الإسلام وهو صلاته، أقبل بنفسٍ هادئة، فيُصلِّي في هدوء نفس، وصفاء فكر، وعقل واعٍ لما يتلو، فتؤتي التلاوةُ ثمرتَها المتمثِّلة في خُشوع القلب.

وينبغي للعاقل أن يكون له شأن يجدِّد فيه علاقته بالقرآن، فحين تتخذ خليلًا أو صديقًا مقربًا، فإنك تمنحنه أفضل وقتك، ولا تعطيه فَضلةَ أوقاتك، فكيف إذا كان الصاحب هو كتاب الله العزيز؟ فلا تقبَل بقُرب أحدٍ أكثَرَ منه، ولا تقبَلْ بصداقةٍ تُبعِدُك عن صحبتك للقرآن؛ فينبغي أن تُكثِرَ منه، ليس فقط في

القـراءة؛ بل أيضًـا في التأمُّل، والتدبُّر، وفهـم معانيه، والاطِّلاع على تفسـيره، وتطبيق ما جاء فيه من أوامر والابتعاد عن كل ما فيه من نواهيه.

اتخذ القرآن صاحبًا وزاحم به مشـاغلك، ليُنير دربك ويُحيي روحـك، حتـى إذا ضاقت عليـك الأرض بما رحُبـت، وضاقت عليك نفسـك، سـتجده (القرآن) يمدُّك بالأمل، يبـدِّد همومك، يغسل أدران قلبك، ويُثمِر بذور السعادة في فؤادك، وحينها ستدرك تمامًا معنى قوله تعالى: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: آية ٥٢].

ولبلـوغ هذه المرتبة مـع القرآن أنت بحاجـة إلى وقود، ومن ذلك: الإكثـار من الاسـتغفار؛ لتطهير القلـب، والإكثار من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حتـى نصل إلى ما قالت عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الأسـوة والقدوة الحسـنة، حين سُئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يا أمَّ المؤمنينَ أنبئيني عَن خلقِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالَـت: أليسَ تقرَأُ القرآنَ؟! قالَ: قلتُ: بلـى، قالَت فإنَّ خُلُقَ نبيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآنَ»[١].

---

(١) أخرجه مسلم .(٧٤٦)

إذًا، حينئذ ستكون صاحب القرآن، صاحب العلاقة المثلى به، علاقة ليست معرضة للتفاوض من أجل عروض دنيوية.



كيف لنا أن نصل إلى ما وصل إليه الصحابة مع القرآن؟

لقد كان للصحابة شأنٌ عظيمٌ مع القرآن، ولك أن تتأمل قول عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو سلمت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم»[(١)].

نعم والله؛ وهذا يدلُّ على أن قلب المؤمن يجب أن يكون متشوِّقًا دائمًا لمعرفة المزيد من كلام الله والعمل به، فهو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن احذر أن تبتغي به عرضًا زائلًا من الدنيا وزَهرتها.

فكيف لنا أن نصل إلى ما وصلوا إليه؟ إنه سؤال في غاية الأهمية، وللجواب عليه بإيجاز يُقال:

* **لابد لنا من تبنِّي أسس رئيسة**، أولها أن يكون حالُنا كحالهم في صدق النية، فهم اتخذوا القرآن رفيقهم في الدنيا والآخرة، دون أن يبتغوا عرضًا من الدنيا؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اقْرَؤوا القُرآنَ، وابْتَغوا به اللهَ، مِن قَبلِ أنْ يَأتيَ قَومٌ يُقيمونَه إقامَةَ القِدْحِ، يتَعَجَّلونَه، ولا يَتأجَّلونَه»**[(٢)]. وقد ينطبق

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة بلفظ: «لو طهُرت قلوبكم ما شبِعت من كلامِ الله عَزَّوَجَلَّ».

(٢) أخرجه أبو داود (٨٣٠)، وأحمد (١٤٨٥٥) واللفظ له.

هـذا أكثر على بعـض الرجال؛ لأنهم قـرَّاء وأئمة، لكن قد يشمل كذلك بعض مَن تتخذ مِن تعليم القرآن عرضًا زائلًا من الدنيـا، فتطلب بتعليمه أو قراءته عاجـلَ ثواب الدنيا، ولا تبتغي به جزاء الآخرة.

* **النظر في صبر الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ومثابرتهم؛** إذ لم يصلوا إلى مـا وصلوا إليه إلا بجدٍ واجتهاد، فعلينا أن ننهَج منهجهم، ونكون مثابرين في دراسـة القـرآن، وإن واجهتنا صعوبات وعراقيل.

* **اتخـاذ الرفقـة الصالحة المعينـة؛** فقد كانت بيئـة الصحابة طاهرةً نقية، عاشت تحت قيادة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكانت رفقتهـم الصالحة مشـجِّعة على حفظ القـرآن والعمل به، ونحن بدورنا أشدُّ حاجة منهم إلى رفقة صالحة تعيننا على التعلق بالقرآن وتطبيق أحكامه، وتعزِّز فينا الهمة والعزيمة.

ولنتأمل قولـه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ : ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: ١٦].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما كانَ بيْنَ إسْلَامِنَا وبيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بهذِه الآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] إلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ(١).

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عاتبهم قبل ١٤٠٠ سنة، كيف هي قلوبنا؟!

كان هذا عتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم، فكيف لو نزل فينا؟

ولو نزل هذا العتاب فينا لكان قاسيًا جدًا؛ لأن أكثرنا في تلك الحال من قسوة القلب إلَّا من رحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فقد انفصلنا عن القرآن، وانفصلنا عن العمل به، وانفصلنا عن منهج القرآن؛ لذلك تغيَّرت مناحي حياتنا كلها، ونحن في زمننا هذا أحوج ما نكون إلى هدي القرآن وإلى تقويمه، وقد أنزله الله تعالى لنسعد به: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾! [طه: ٢]

❊❊❊

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٠٢٧).

هل تدبر القرآن عِلم حصريٌّ يختص به العلماء؟

يظن البعض -جهلًا- بأن التدبر عِلم حصريٌّ يختص به العلماء، وهذا لا يصح بأية حال، بل التدبُّر ضرورة دينية مكلَّف بها كل مسلم ومسلمة على اختلاف مستوى وعيهم وفهمهم، وعلى اختلاف مستوياتهم العلمية وقدراتهم العقلية، بل إن التدبر هو وظيفة هذه الأمة، وقد أمرنا الله بالتدبر في قوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] ومن ثَمَّ فهو أمر لكل مكلف!

بل إن الأعجب أن يُترك التدبر ويُزهَد فيه في وقتنا الحالي الذي تيسَّرت فيه وسائل التفسير والتدارس والتدبر، ومع توفر هذه الوسائل وكثرتها، زاد زُهد الناس في القرآن، وازدادت غفلتهم عنه، ولم تُتَّخذ هذه الوسائل حافزًا أو معينًا ودافعًا؛ حتى ترتفع بها الهمم، ونشتغل بالقرآن ونقوي علاقتنا به، فربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ جعله يسيرًا كما قال: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر: آية ١٧] وهذه من الآيات التي تبرز تلك المعاني العظيمة من يسر الله تعالى في فهم القرآن وتيسيره للذكر والتذكر.

حين نزلت هذه الآية ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا﴾، كانت البيئة مختلفة

تمامًا عما نعيشه اليوم؛ لم تكن هناك وسائل معينة كالتطبيقات والقنوات الدراسية، لكن وُجدت آنذاك قلوبٌ حية، وصدور منشرحة، وأرواح مستعدة؛ عَلِمت أين الصالح لها فأقبلت على القرآن عملًا وتدبرًا، وامتثالًا، فكانت علاقتهم بالقرآن علاقة شفاء، كما يُقبِل العليل على الدواء، والظمآن على الماء، وكان القرآن بالنسبة لهم مخرجًا وسبيلًا للطمأنينة والسكون.

أمَّا نحن فقد أهملنا كثيرًا من القرآن، فأهملتنا بركاته وحظوظه.

وكتاب الله كله بركة لا يعرفها إلَّا أهله -أهل القرآن- نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من أهل القرآن العاملين به، الذين جعلوه وما به من البينات والهدى هَمَّهم وشُغلَهم الشاغل، فكفاهم الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ما أهمَّهم من أمر دنياهم وآخرتهم.

أنا وأنت لو وقفنا وتأمَّلنا في كرامة القرآن لأهله لرأينا عجبًا، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: **«يَجيءُ صاحِبُ القُرآنِ يومَ القِيامة، فيقولُ القرآنُ: يا رَبِّ حَلِّه. فيَلبسُ تاجَ الكرامةِ، ثُم يقولُ: يا ربِّ زِدْه. فيَلبسُ حُلَّةَ الكرامةِ، ثُم يقولُ: يا ربِّ ارْضَ عَنه. فيَرضَى عنه»**[١].

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٥) باختلاف يسير، وأحمد (١٠٠٨٧) مختصرًا.

متى تُرانا نصل إلى هذه الحال كما وصلوا؟!

من هنا كان لزامًا على كل مسلم يرجو لقاء ربّه، ونيل رضوانه والدرجات العالية من الجنة، أن يزداد عنايةً بالقرآن.

فمَن مِثلُك يا صاحب القرآن تنال تاج الكرامة وحُلَّتها، وتفوز بالرضا من الرحمن؟! نعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهل يتفضَّل الله بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على الكل؟ كلا، إنما هو اصطفاء من رب العالمين وكرامة منه لمن اختار من خلقه.

ولا شك أن العامل بالقرآن أفضل من الحافظ الذي لا يقيم لحدوده وزنًا، والمتأمِّل المتدبِّر الذي يقف عند الآية، فحريّ بالمؤمن الناصح لنفسه أن يجاهد نفسه لتصلح علاقته مع القرآن، ليعيش حياةً حقيقيةً معه، ويتأمل في حال السلف: كيف كانت حياتهم مع القرآن؟ ثم يقارنها بحاله.

قيل لبعض السلف: إذا قرأت القرآن أتحدِّث نفسك بشيء؟

قال: أوَ شيءٌ أحبُّ إليَّ من القرآن حتى أحدِّث به نفسي؟! أرأيت حالهم مع القرآن وخشوعهم؟ لا شيء يشغلهم أثناء تلاوتهم

القرآن، بل إن بعضهم إذا قرأ آيةً لم يكن قلبه فيها أعادها ثانيةً!![1]

أما حال الكثير منا أثناء تلاوته القرآن هو عدم استشعارنا لما نقرأ، بل تجد حين يضع البعض مصحفه يكون ناسيًا عند أي آية توقَّف، وأي سورة ختمها، فالعقل شارد والقلب لاهٍ. وهذا ممن لا ينتفع إلا بالقليل من بركات القرآن.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في وصف المؤمنين الذين يحاسبون أنفسهم عند الزلّة والتقصير ويرجعون عمّا كانوا عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١].

لقد علم سلف هذه الأمة أن القرآن ليس مثل كلام البشر، وأيقنوا بصدق الأخبار، وكان لأسلوب القرآن المعجز أثرٌ في نفوسهم؛ لذلك تلذَّذوا به، فآثروه على حديث الناس، فمتى تُرانا نصل إلى هذه الحال كما وصلوا؟!



---

(١) إحياء علوم الدين: (١/ ٢٨١).

هل أنا بحاجة لبناء علاقة مع القرآن؟

هلمـوا لتجديد العلاقة مع القرآن، لنعد عـودة حقيقية لتلاوة مؤثِّـرة للقلوب، لتلاوة مغيِّرة للسـلوك، ولنَسـعَ أن نصل إلى أن يكون حالُنا بعد التـلاوة غير حالنا قبلها، فلتكن حياتُنا مع القرآن حياة المحبِّين لآيات الرحمن، المعظِّمين لها.

يقول ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: ١-٢] ومـن أصـدق من الله حديثًـا! إنه القرآن هدًى للمتقين، جعلنا الله منهم.

وإن شـئت أن تنتفع بالقرآن حق المنفعـة، وتعمل به، فيكون لـه أثر في نفسـك وحياتك فعليـك بوصية ابن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذا أردْت الِانْتِفَـاع بِالْقُرْآنِ فأجمع قَلْبك عِنْد تِلَاوَته وسـماعه، وألْقِ سَـمعك، واحضر حُضُور من يخاطبه بِهِ من تكلّم بِهِ سُـبْحَانَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ؛ فإنه خِطابٌ مِنْهُ لَك على لِسَـان رَسُـوله؛ قَالَ تعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾ [ق: ٣٧]، وَذَلِـك أَن تَمام التَّأْثِيـر لمّا كَانَ مَوْقُوفًا على مُؤثـر مُقْتَضٍ وَمحلٍّ قَابل وَشرط لحُصُول الْأَثر وَانْتِفَاء الْمَانِع الَّذِي يمْنَع مِنْهُ تضمّنت

الْآيَة بَيَان ذَلِك كلّه بأوجز لفظ وأبينه وأدلّه على الْمُرَاد»[(١)].

وهنا سؤال يكثُر طرحُه: هل أنا بحاجة لبناء علاقة مع القرآن؟

والجواب: إن لم يكن لك علاقة مع القرآن، فأحسن الله عزاءك في نفسك! كيف تهنأ روحك؟ وكيف لك أن تدعها عطشى بلا وِردٍ من الآي؟!

يجب أن نحرص على علاقة متناهية الكمال والجمال مع القرآن، ونجعلها أفضل من علاقتنا مع البشر كلهم، فالقرآن رحمة للعالمين، به أمة محمد فازت، وخرجت من الظلمات إلى النور ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ [لقمان: ٢-٣].

أنت بحاجة إلى علاقةٍ تشفيك من آفات الذنوب، ومن الأمراض النفسية، ومن الأمراض الروحية.

فيا من تعاني من حسد أو عين أو سحر أو... إلى غيره، قوِّ علاقتك بالقرآن؛ وليكن ملازمًا لك في مقامك ومضجعك، فهو الشفاء لجميع الأمراض؛ سواء كانت نفسية، أو عقلية، أو قلبية،

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٣).

أو اجتماعية، شفاء من الكفر، شفاء من الإلحاد، شفاء من الشكّ، أنت بحاجة لهذه العلاقة أكثر من حاجتك إلى زياراتك للعيادات النفسية! فالقرآن شفاء من الحيرة، من القلق، من الخوف، من الكِبر، من أسقام القلوب كالحسد، والبخل، والشُّح، شفاء من الظلم، شفاء من تجبُّرك وأنت مجرد عبد ضعيف، أو أمَة ضعيفة!.

قال جلَّ شأنه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]، إن علاقتك بالقرآن هي علاقة بالسراج الكاشف لجميع الظلمات، المبدِّد لجميع شكوكك الداخلية، وتساؤلاتك، بهذه العلاقة تبعد عنك الحيرة والجهل؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤].



هل تقف حياتنا حقًّا؟

كيف لا تكُون لي علاقةٌ مُثلى معه، وهو الروح الذي تتوقف على إثره حياتك؟

هل تقف حياتنا حقًّا؟

نعم، تتوقف الحياة الكريمة العزيزة التي يريدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأمة محمد؛ أمَّة محمد من غير هذا القرآن أمة ميتة، لا معنى لوجودنا، لا ننتفع بالحياة بعيدًا عن القرآن.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، هذا النور يهدي به ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾.

علاقتك مع الحق المحقِّق والمثبِّت، يا مَن تسأل عن الزعزعة والتشتُّت، ويا من تقول أنا بحاجة لمن يثبِّتني، القرآن هو المثبِّت الحق، وهو من الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٤١]، وهل بعد الحق إلَّا الضلال، هو البيان، كيف تتخلى عن هذه العلاقة ولا تجعلها قوية؟!

ألا يُفترضُ أن تكون أول أولوياتك؟

هذا البيان والتبيين لكل شـيء يحتاجه الإنسـان في حياته، كل ما تحتاجه لكي تجنـي الاطمئنان والسـعادة الحقيقية، والكرامة والعـزَّة، يقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، كل شيء في القرآن، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]

❊❊❊

القرآن هو الموعظة التي تدفعُك لكسب كل أنواع الخير

لا يوجد في هذا الكون وفي هذا الوجود كائنٌ إلَّا ينالُه خيرٌ من القـرآن، من يوم نزوله إلى يـوم القيامة، ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحـل: ٣٠] إذًا، هو الخير للجميع، فكيف علاقتي معه؟

إذا أردتَ السـعادة في الدنيـا وفي الآخـرة، والبشـرى من رَبِّ العالميـن، فخـذ الكتـاب بقوة، فقد قـال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

القـرآن هو الموعظـة التي تدفعُك لكسـب كل أنـواع الخير والفضيلة والسعادة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [يونـس: ٥٧] ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] فهو الموعظة، وهو الشفاء، وهو التبيان، وهو الهدى والبرهان.

هذه دعوة لتصحيح مسـارك مع القرآن الذي تحيا به القلوب وتطمئـن به الأرواح، وتطيب به العقـول، وتزكو به الأعمال، فلا يطيبُ عمل من دون ذكر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والقرآن هو أفضلُ الذكر

وأعظمُه. ولا يطيب عملٌ دون العمل بأمره وانتهاجِ نهجه ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤] إذًا هو المنبِّه، هو الواعظ لكَ في كل يوم، في كل ساعة.

ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ جعَلَه هُدًى ورحمة لهذه الأمة، به يصلُح شأنها، وبه تتمتع بحياة كريمة سعيدة لا شقية، كتابٌ مبارك، وعلاقتي به ينبغي أن تكون مباركة؛ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾ [ص: ٢٩] كتابٌ كله بركة، لكن يجب تدبره والعمل به ﴿مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩] نعم مبارك، مباركٌ في ذاته، مبارك لحياتك وأحوال العالمين، وكذلك العاملين به المتعلِّمين له العاملين به، هذا هو النهج الذي يُعينك على عبور الصراط المستقيم والهدي المبين.

القرآن لم يغفُل عن شأن دينيٍّ أو دنيوي إلّا وأظهره وبيَّنه وأحكم حكمه، لكن هو لأولي الألباب أصحابِ العقول، فلا يمكن لذي لُبّ سليم وقلب حيٍّ أن يعرض عن القرآن ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

هل قلبك مُقفَل أم منشرح؟

أنت بحاجةٍ لتفقُّد حال قلبك، هل القلب مُقفَل أو منشرح؟

وإذا أجبت عن هذا السؤال تُسرع إلى الاستصلاح وإلى الإحياء بما لا تحيا بغيره الأفئدة، فالقلوب تحيا بالقرآن وتدبره...

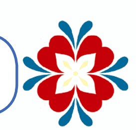
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

حين تسأل نفسك هذا السؤال وتُعود لتتفقُّد قلبك، هل قلبي مستعدٌّ لاستقبال هدايات القرآن وأنواره وكنوزه؟

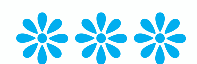
فمتى اتخذتَ علاقةً مع القرآن علاقة قوية، منحك من الأسرار ومن المعاني ومن مفاتيح الخير، ومن البركة ما الله به عليم، لكن إن هَجرتَه، فقد هجرت الصلاح والهداية، وقصَّرت في استجلاب صلاح أمورك، واستجلاب أسباب السعادة، ولن يستقيم لعبدٍ منطقٌ ولا يتضح له منهج ولا يُسدَّد له سلوك. إلا باتخاذِ القرآن منهج حياة.

لا بد أن تُقبلَ عليه بالكُلِّيَّة، يقول الربُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ [الأنبياء: ٢] لكن ذمّهم ﴿وَهُمْ





يَلۡعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢]؛ لأن القرآن الصاحب الذي يقودك إلى جنات النعيم، لا بد من أن نُحسِن علاقتنا به.



الخطوات العملية لإصلاح علاقتي مع القرآن

تتعدد الوسائل المعينة على إصلاح علاقتك بالقرآن؛ ولأن النفوس البشرية متباينة الطبائع والسجايا، فقد يصلح لزيد ما لا ينفع لعمرو! ولعلنا نضع بعض الأطر العامة، والخطوط العريضة التي تعين وتساهم في إصلاح علاقتنا مع القرآن.

۞ ويمكن تقسيم هذه العلاقة إلى قسمين:

* **علاقة أريد فيها قراءة متأنية، واعية، متفهِّمة، متدبرة،** فيها تفكُّر في معاني كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

* **في علاقتك مع القرآن لابد أن تشعر باستمرار أن المتكلِّم، والمتحدِّث معك مباشرة في القرآن هو الله** جَلَّجَلَالُهُ، أن الرسالة مُوَجَّهة إليك أنت، إذا استشعرت هذه المسألة تبدأ في التفكُّر، والتأمُّل عند كل آية وعند كل تعامل.

* **حين تنتهي من هذه التلاوة المتأنية المترسِّلة للقرآن، اجعله مرآتك،** طبِّق ما تلوته بعد أن وَعَيْته، ثم لتنتقل إلى

تحسين علاقتك العملية، وانظر فيما حولك: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾

[آل عمران: ١٩٠].

* **قِفْ عند هذه الآية، ما الذي يحصُل؟** تخشع إذا قرأته بتدبُّر، وبتفكُّر، بتأمُّل، بقلب حاضر، فتزداد بصيرةً ومعرفة بالله جَلَّ جَلَالُهُ.

* **ولكي أحقِّق علاقة متينة قوية مع القرآن وأجعله نبراسًا أستضيء به،** ومعيارًا أزن به أعمالي -أُحلّ الحلال، أحرِّمُ الحرام، أَقِفُ عند الحدود- وبذلك أكون ممن أسلم وجهه لله وهو محسن، فأحاسب نفسي، وأكشف عن واقع حالي في علاقتي مع القرآن من خلال الإخلاص. فأول خطوة في إصلاح العلاقة مع القرآن هي الإخلاص.

۞ جعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأهل القرآن مزايا خاصة:

* **فأهل القرآن** يهتدون إلى الصراط المستقيم.

* **أهل القرآن** ممن ينالون رضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* **ولأهـل القرآن مزايا يـوم القيامة؛** دخـول الجنة وهي غاية كل مسلم، بل الارتقاء في الدرجات العلى منها.

ألم يقُل صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقالُ لصاحِبِ القرآنِ: اقرَأ وارقَ ورتِّل كما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها**»[1]. هذا من كانت علاقته قوية بالقرآن.

وكذلـك أهل التدبُّر فحين ذكـر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **الصالحين وذكر المجاهدين،** أثنـى على أهل القرآن بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] وذكر: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٢] أي: بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

وهنـا مسـألة في غاية الأهمية، حيـن جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **هذه المزايا كلها لأهل القرآن،** جعل في المقابل أوَّلَ من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة مَن ابتغوا بالقرآن غير وجه الله.

تأمّل قولَ مَن لا ينطق عن الهوى صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ أوَّلَ الناس يُقْضَى يومَ القيامةِ عليه ...ورجلٌ تعلَّمَ العِلْمَ وعلَّمَهُ، وقَرَأَ القُرآنَ،**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٥٦)، وأحمد (٦٧٩٩) واللفظ له.

فأُتِيَ بِهِ فعَرَّفَهُ نعمَهُ، فعَرَفَها، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: تعلَّمْتُ العِلْمَ وعلَّمْتُهُ، وقَرَأْتُ فيكَ القُرآنَ، قال: كذبْتَ، ولكنَّكَ تعلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ عالِمٌ، وقرأْتَ القُرآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ فقدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بِهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النارِ»[(١)].

هذا حال صاحب القرآن المرائي الذي لم يُخلص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه المسألة، فكان أولَ من سُعِّر به النار؛ لذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدَّم المرائي في القرآن على المرائي في غيره من العبادات، لم يكن المجاهد أو المنفِق الذي قال: أنفقت في سبيل الله، أو الذي قال: قاتلت في سبيل الله، قدَّم الذي كان مرائيًا في القرآن، لماذا؟ لعظمة هذا الكتاب، ولأن قبول الأعمال متوقف على مسألتين، الإخلاص في العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومتابعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غنيٌّ عن عبادتنا، ولا يقبل إلَّا ما كان خالصًا لوجهه صوابًا.

ثانيًا: تلاوته، وأخذ القرآن بقوة، ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: ١٢]، وعدم إهماله وهجرانه -كما تقدم معنا، فمَن وُفق لهذه المسألة وُفِّق لخيرٍ عظيم وهُدي لباب أجرٍ عميم!

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

حتى الـذي يصعُب عليه التلاوة له أجر عظيم، ألم تقل عائشـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: يقول النبي صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الماهِرُ بالقرآنِ مع السفرَةِ الكرام البرَرَةِ، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ، له أجران**»[(١)].

وحين سُـئل النبي صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «**إنَّ لله أَهْلينَ منَ النَّاس قالـوا: يا رسـولَ اللهِ، مـن هُم؟ قـالَ: هم أَهْـلُ القـرآنِ، أَهْلُ اللهِ وخاصَّتُهُ**»[(٢)].

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أحق الناس بهذا القرآن مَن رُئِي في عمله»[(٣)].

* أقرأُ الآية، أفهمها، أتدبرها، ثم ماذا بعد؟
* هل انتهى الموضوع هنا؟
* ختمتُ وأخذتُ شهادة في اختبار القرآن، ماذا بعد؟
* هل امتثلت لأوامره. واجتنبت نواهيه؟

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧) ، ومسلم (٧٩٨) باختلاف يسير.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (١٢٢٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٧٩٧٧).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، بداية التفسير (٢/ ٤٢٢) برقم (١٣٥)، وأحمد بن حنبل في الزهد (١٦٦٠).

* فحين تحل بالمؤمن مصيبة هل تكون الآيات حاضرة عنده، ويستشعر المرء ما تلاه في سالف عهده؟

* هل يصبر ويستبشر بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

بعضهم يتباهى بالختم كل ثلاث، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وأمرٌ قد يُغبَط عليه فاعله بلا شك: ولكن أين يكمن الخلل؟

حينما تحل بالمرء نائبةٌ من نوائب الدهر، ينسى كلام ربه وينسى أنه قد مرَّ بقوله: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٥٥] فينقلب الإنسان على عَقِبَيه!

إذًا المسألة خطيرة!

ولنقف مرة أخرى مع مقال الحسن البصري: «إن أحقّ الناس بهذا القرآن من رُئي في عمله»[(١)].

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، بداية التفسير (٢/ ٤٢٢) برقم (١٣٥)، وأحمد بن حنبل في الزهد (١٦٦٠).

يقول تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، وإنما تدبّر آياته بمعنى: اتِّباعه بالعمل.

إذًا.. مَن وُفِّق لهذا رُزِق السعادة، وسيقت إليه أسباب الفلاح، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من المفلِحين الفائزين بجنات النعيم، اللهم آمين.

الله سبحانه يأمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويُخبِرُه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢﴾ [النمل: ٩١-٩٢].

وهنا حثٌّ واضح على تلاوة القرآن، بل كانت من وظائف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يتلو القرآن كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النمل: ٩١-٩٢].

❊❊❊

احرص على توطيد علاقتك بالقرآن وإصلاحها

ومما يعين على توطيد علاقتك بالقرآن وإصلاحها، ما يأتي:

* الإخلاص.

* التلاوة، والإكثار منها، ولا يكُن همُّك التحدي في إتمام الصفحات!

* استحضار الثواب، وأنت قائم تتلو القرآن، وقد بيَّن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لنا الأجر: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن: أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وميمٌ حَرف»[(١)] فلاحظ كرم الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، الأجر العظيم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧] الله جَلَّوَعَلَا يتقبل أعمالنا القليلة، ويُثيبنا عليها بالثواب الجزيل العظيم.

* التفاعل مع آيات القرآن: اقرأ القرآن بروح متفاعلة مع آيات الله، وانظر كيف يمكن أن تغير هذه الآيات حياتك الشخصية والاجتماعية.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح.

* **الاستعانة بالدعاء:** سَلِ الله أن يعينك على إصلاح علاقتك بالقرآن، وأن يرزُقَك فَهمَه وتدبُّرَه والعمل به أبدًا ما حييت. والدعاء من أقوى الوسائل لتوجيه النية وتقوية العلاقة مع الله جَلَّ وَعَلَا من خلال القرآن.

وإذا رجعت إلى حال السلف وإلى الصحابة الكرام، لوجدت أن هذه هي الخطوات الأساسية التي وطدوا بها علاقتهم مع القرآن، فكان منهم من يختم في الأسبوع، ومنهم من يختم في أقل من ذلك، وكانوا يُطيلون النظر إلى كتاب الله؛ لذلك يقول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما يمر عليَّ يوم أو ليلة إلَّا ونظرت في كتاب الله»[(١)] يعني المصحف.

وعن أفضل وقت للتدبر، أقول: هذا أمر متعلق بكل شخص، قد علم كل أناس مَشرَبهم. لكنني ممن يرى ثمرات التدبر في هدأة الليل وسكونه، وقد يكون الليل أفضل الأوقات؛ لما جاء في صحيح البخاري عن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: «بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ،

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٤٧٩).

فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ» خاف أن تُحدِث الفرس شيئًا للولد، «فَلَمَّا اجْتَرَّهُ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّث النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْر اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْر؛ قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّة فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لَا أَرَاهَا قَالَ: وَتَدْرِي مَا ذَاكَ قَالَ: لَا؛ قَالَ: تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ»**[1].

* **ومما يساهم في تعزيز علاقتك بالقرآن:** كثرة الاستماع للقرآن، وهذا مما يعين على التدبر كذلك، كما أن للسماع فوائد أخرى منها: الإعانة على الحفظ وتثبيت المحفوظ، فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو الذي نزل عليه القرآن - لابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **«اقرأ عليَّ القرآنَ. قلت: يا رسولَ**

(١) البخاري حديث رقم (٥٠١٨)، وأخرجه مسلم أيضًا برقم (٧٩٦).

اللهِ كيَـف أقرأُ عليك وإنما أُنزِل عليك؟! قال: إني أشـتهي أن أسمعَه من غيري. قال: فافتتحتُ سورةَ النساءِ، فقرأت عليه، فلما بلغت: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾، قال: نظرتُ إليه وعيناه تذرفانِ»[١].

أمـا حال الصحابة عند سـماع القرآن الكريـم فكان وَجَلُ قلوبهم واقشعرار جلودهم! فاللهم ارحم حالنا..

فحينما تكون مسـتمعًا فأنت متدبر كذلك، بل قد يكون حال سماعك أفضل من حال تلاوتك أحيانًا؛ فقد ينشغل قلبك ويسهو أثنـاء التلاوة، وقد تلحن أو تخطـئ في نطق بعض الكلمات. وقد تنشـغل بإتقانك التلاوة فتغفل عن التدبر حينئذ: وهذا سرٌّ جميل من أسـرار الاسـتماع للقرآن، وقـد يُفتَح عليك في فَهْـم كثير من الآيات وأنت مسـتمع، لكن أصبحت مسألة الاستماع من السنن المهجورة!

مسألة إضافية في توطيد علاقتك مع القرآن وإصلاحها:

عـن جندب بـن عبد الله الْبَجَلِـيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَـعَ النَّبِيِّ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠) باختلاف يسير.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[1]، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ بَعْدُ، فَازْدَدْنَا إِيمَانًا»[2].

والذي نفهمه من هـذا الكلام أن زيادة الإيمان تكون مع تعلم القـرآن، أفهم أصول الإيمان وأُعظِّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا لا يأتي إلَّا بالتعرف على أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته، فمن عرفه وآمن بـه أحبَّه أشـد الحـب ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقـرة: ١٦٥] وإذا أحببنا الله أحببنا كلامه، وإذا أحببنا كلامه كان لزامًا أن نبني عَلاقةً مُثلى مع كتابه العزيز.

فينبغـي تعلـم الإيمان وأصوله كمـا ذكر الصحابـي، ما هي أصـول الإيمان؟ معرفـة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعظيمه، فـإذا عظَّمت الله جَلَّ جَلَالُهُ أحببته، وإذا أحببته، أحببت كلامه، وإذا أحببت كلامه أصبحت العلاقة قويةً مع كتابه.

وتعلُّـم الإيمـان مـن معرفـة النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهـذا مـن أعظـم أصول الإيمان؛ الاقتـداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتباع هديه

---

(١) حَـزَاورة: جمـع حَـزْوَر وحَزَوَّر، وهـو الذي قارب البلـوغ. النهاية لابـن الأثير، مادة (حزور).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٢١).

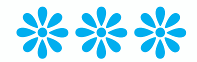
صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في قوله تعالى على لسان نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]؛ لذلك نزلت على أقوام ادَّعوا محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولم يكونوا ممن اتبع هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فنزلت هذه الآية اختبارًا وامتحانًا لهم ولصدق ادعائهم.

وحين ترسخ وتقوى العلاقة بالقرآن فهي خير مُعين على الثبات وعلى الاستقامة على المنهج الرباني.

إذا استحضرت هذا المقام الرفيع وهو اليوم الآخر؛ فلا تمرُّ عليك ضائِقةٌ أو مصيبة أو غير ذلك، إلَّا وقلت: «لا بأس» ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠] ثم استعنت بالصبر والصلاة ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥] لأنك استجبت لأمره تعالى حين قال: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥] من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٦] هؤلاء هم الذين يستعينون بالصبر والصلاة؛ لأنهم يؤمنون بالله وباليوم الآخر ويستحضِرون أمام أعينهم هذا اليوم العظيم.

وربنـا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **ذكرهـا لنـا كذلك في قصـة طالوت، كيف ثبتوا عند المواجهة؟** حين اسـتحضروا اليوم الآخر؛ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩] كانت الفئة التي ثبتت عند مواجهة العدو وقتالهم هي الفئة التي استحضرت اليوم الآخر ولقاء الله عَزَّوَجَلَّ.

والذي أستفيده بتقوية علاقتي بالقرآن هو أمر في غاية الأهمية، وهـو معرفة لُب العبادات، ومعرفـة معنى التذلُّل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فحيـن أعـرف مقـام العبودية فأنكسـر بين يـدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يُصبِـح لـديَّ الانقياد لـه، الطاعة، الاستسـلام لله جَلَّ وَعَلَا، التوكُّل على الله حق التوكل.



آثار القرآن عند قارئه وسامعه

ومن آثار القرآن عند قارئه وسامعه، هو التغيير الحاصل في سلوكه وخلقه.

قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي أن يكون باكيًا محزونًا حكيمًا عليمًا ساكنًا، ولا يكون جافيًا ولا غافلًا ولا صاخبًا ولا صيّاحًا ولا حديدًا) (١).

ومما لابد منه في تقوية علاقتك بالقرآن وإصلاحها: هو تعلم معاني القرآن، والكثير يغفل عن هذه المسألة، إذا أردت علاقة مُثلى بالقرآن العظيم عليك بالاعتناء بمعاني القرآن، كما كان فعل الصحابة والتابعين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

قال مجاهد: «عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ

---

(١) أخرجه أبو داود في الزهد (١٧٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٥٨٤).

أَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا فِيمَ نَزَلَتْ؟ وَكَيْفَ كَانَتْ؟»[1].

وعنه أيضًا، قال الفضلُ بن ميمون: «سَمِعْتُ مُجَاهِدًا، يَقُولُ: عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثِينَ عَرْضَةً»[2].

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقف ويسأل في كل آية حتى يفهم مراد الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكانوا يتعلمون معاني القرآن كما يتعلمون ألفاظه!

وتعلُّم معاني القرآن أمر مهم[3]، فليس الشأن في مجرد حفظه، إنما تعلُّم وفَهمُ معانيه؛ لذلك من الأشياء التي ذكرها الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمه تفسيره: «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذُّ به»[4] حقًّا كيف يتلذَّذ هذا القارئ دون فهم وإدراك معانيه!

إذًا ما أطيبها من حياة إذا أنت حاولتَ فَهم معاني كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ، **ثم تتلذَّذ بها؛** ولذلك وصفت لنا عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

---

(١) ينظر مقدمة تحقيق معالم التنزيل للبغوي (١/ ١٩)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٧١).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (ص ٢٨٠)، ط السعادة.

(٣) هناك الكثير من الكتب التي تعينك في هذا الباب، أمثلة على ذلك: كتاب التفسير المُيَسَّر، ومعاني القرآن للفراء وغيرها كثير.

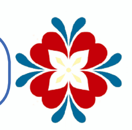
(٤) مقدمة تفسير الطبري (١/ ١٠).

حـال النبـي ﷺ لما نزلـت عليـه إحدى الآيـات فتقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَلَمْ يَـزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِـي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ؛ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُـه بالصَّلَاة فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَـالَ: يَا رَسُـولَ الله لِمَ تَبْكِي وَقَـدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَـدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾» [آل عمران: ١٩٠][١].

تأمَّل معي قول النبي ﷺ «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَـا»[٢] ما معنى ذلك؟ لا بد لنا أن نعقـل ونفهم معاني آيات الله ونتدبرها.

فربنا سُـبْحَانَهُ حين تكلَّم عن الهداية ذكـر أنها هداية للناس، ثـم ذكر أنها هدى للناس، تكـون هدى وهداية لأهل التقوى وهو الصلاح، وكلما اتقى العبد ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وخَشـيه يفتح الله عليه من أسرار القرآن ما الله به عليم.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠).
(٢) أخرجه ابن حبان (٦٢٠)





تعلم القرآن والعمل به

ثم دونك مسألة لا تقل أهمية، بل إنها من أهم ما يحدد قوة علاقتك بالقرآن، ألا وهي: العمل بالقرآن. وقد رأيتُ تأخير ذكرها لأهميتها. «كان الرجل منا إذا تَعَلَّمَ عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»[(١)].

لقد تقدم الحديث عن الإخلاص وأهميته في بناء علاقة مع القرآن وضرورة إخلاص العبد لربه في تلاوته لكتابه، ثم بعدها تعلم معانيه.

وختامًا تأتي أهمية العمل بما جاء في كتاب الله؛ وروي عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كنَا لا نتجاوزُ عشـرَ آياتٍ حتَّى نتعلمهن ونعمل بهن، ونُعلِّمهن، ونعلم حلالهن وحرامهن، فأوتينا العلم والعمل»[(٢)].

ولم يقتصر الأمر على الرجال فقط، بل قد كان هذا حال النساء آنذاك، فنساء الأنصار أو نساء المهاجرات حين نزلت

---

(١) ابن جرير في التفسير (١/ ٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٤٨٢)، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

عليهم آيات الحجاب لم يتوانَين، ولم يتلكَّأْنَ في قَبول الحق، قالت عائشة في ثنائها عليهن: «يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور: آية ٣١] شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا»[1] متحدثة عن آية الحجاب في سورة النور، والله جَلَّ جَلَالُهُ ما أنزل هذا الكتاب علينا إلا لِيُتَّبع وليُعمَل بما فيه؛ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهنا يتضح الفرق جليًّا بيننا وبين الصحابة، فهم قرؤوه بألسنتهم، وتدبَّروه بعقولهم وقلوبهم، وكانوا على أتمِّ الاستعداد للتطبيق العملي الفوريّ، والالتزام بالأمر والنهي، ونحن دونهم في ذلك!.

وتأمل حالهم لَمَّا نزلت على رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَوْه،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧٥٨).

ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالْجِهَادُ، وَالصَّدَقَةُ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ، وَلاَ نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ». قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾. فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى ثم أنزل قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ قَالَ نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قَالَ: نَعَمْ.(١)

(١) أخرجه مسلم (١٢٥).

إذا رامت نفسك الفلاح فعليك بالعمل بالقرآن؛ لأن هناك أقوامًا ذمَّهم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [الجمعة: ٥]، ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥] ما فهموها؛ كأنَّهُم كالحمار يحملون أسفارًا.

فلا ينبغي للَّبيب العاقل أن يقتصر على القراءة، وترك العمل فيكون كالذين ذمهم الله تعالى كما في قوله: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾ [البقرة: ٧٨].

وإذا قويت علاقتك بالقرآن، فإنك لا تمر بآيةٍ إلا أردت أن يكون لك نصيب مما جاء فيها من نهي أو تمتثل فيها أمر ربك، فحين تسمع مدحًا أو ثناءً تبادر، فالرسالة مُوَجَّهة لك، تأمَّل حين تقرأ متدبرًا عاملًا بكتاب الله الذي يقول لك: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٩٢]، أو تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٠]

هـل تبخل؟! بل تبادر إلى قضاء الحاجة وتفريج الهم والغم، تطمع في نيل رضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واتقاء عذابه، وهنا تكون قد كسبت أجرين: أجر تفريج كربة مسلم، وأجر العمل بما عَلِمت من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

إذًا هكـذا تكون علاقتك بالقرآن، هكذا يكـون من أراد حياةً طيبـةً في الدنيا والآخـرة، فحين يقـرأ العبد بتدبـر ويضيق صدره بمسـألة مـا؛ سـيعود ليستشـعر معية الله مـع الصابريـن إن صبر، ويوقـن بموعود الله والبُشـرى منه، فقد بشَّـر الله الصابرين قائلًا: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

واعلم أن التدبُّر مفتاحٌ يُوصِلك إلى معرفة عظمة ربك ومولاك، ويُريك حقيقة الدنيا والآخرة، ويُبيِّن لك مآل الفريقين، ومسـتقَر الطائفتيـن ويزيد في منسـوب إيمانـك ويرفع درجتـك؛ ثم يثبِّت قلبـك على الاسـتقامة، ويُزهِّدك في هذه الدنيـا الفانية وزخرفها، فإذا مررت بآيات من سـورة الزخرف؛ تدبـر كتاب الله يُرغِّبك في الآخرة، يطرد عنك الهم، يزيل عنك؛ يُغنيك عن الناس فتلجأ إلى رب الناس، وتنعم بخيرات لا منتهى لها.

إيَّاك أن تكون ممن يغفل عن تدبُّر القرآن؛ وفي هذا الشأن قال ابـن هُبيرة: «مِنْ مَكَايِدِ الشَّـيْطَانِ تَنْفِيْرُهُ عِبَـادَ اللهِ مِنْ تَدَبُّرِ القُرْآنِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ الهُدَى وَاقِعٌ عِنْدَ التَّدَبُّرِ»[(١)].

إن الجنـة التي زيّنها الله بيديه، وجمَّلها وحبَّرها فكان فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لا يمكن أن تكـون كلأً مباحًـا لكل نطيـحة ومتردية مـن بـني آدم، بل هي لأولئك الذين سَـمَت نفوسُهم إلى ربهم وجاهدوا، وصبروا على الطاعات، وبذلوا الغالي والنفيس لنيل رضوان الله تعالى، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبـوت: ٦٩]، فجاهِـدْ في عَلاقَتِك مع القرآن، وفي تقويتها وجعلها صُلبـةً متينة، وصابِر وثابر في تعلُّمه، وفي تعليمه؛ لذلك يقول ابن القيم: «فأكملُ الناس هداية أعظمهم جهـادًا، وأفـرض الجهاد جهـاد النفس، وجهاد الهـوى، وجهاد الشـيطان، وجهاد الدنيا. فمَن جاهد هـذه الأربعة في الله هداه الله سـبل رضاه الموصِلة إلى جَنَّتِه»[(٢)]. اللَّهُـمَّ الجنة وما يُقرِّب إليها من قولٍ وعمل.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٦).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ٥٩).

كيف كانت علاقتهم مع القرآن؟

عـاش عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مع القـرآن، فهَزَّته آياتـه واتَّخذها واعظًا له؛** فحين خرج ذات ليلة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وسمع ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ [الطور: ١-٧] رُوِيَ عنـه أنه قال: «قَسَـمٌ وربِّ الكعبة حقٌّ» مَرِضَ شـهرًا يَعودُهُ الناسُ، لا يَدرون ما مَرَضُهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١) ما سبب ذلك؟ تدبره للقرآن.

وهكـذا كان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **مع القـرآن** حتى صار القرآن جليس فِكرِه وأنيس قلبه وشـاغل عقلـه، يقول: «والله لو أضعت عِقَال بعيري لوجدت ذلك في كتاب الله»(٢) فأي حكم تبحث عنه، ستجده في كتاب الله العزيز. أي فائدة إلا وستجدها في القرآن.

وعاش عكرمـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مع القرآن حتى قيل:** إنه كان إذا رأى المصحـف يأخذه فيضعه على وجهه ويبكي ويقول: «كتاب ربي وكلام ربي»(٣).

---

(١) مسند الفاروق لابن كثير (٢/ ٦٠٧).

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل، لجلال الدين السيوطي (ص١٣).

(٣) الجهـاد لابن المبـارك (ص٥٧)، حققه وقدم لـه وعلق عليه: د. نزيه حماد، الناشـر: الدار التونسية – تونس، ١٩٧٢م.

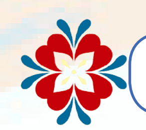
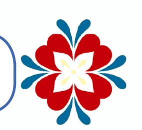
ألاحظتم كيف كانت علاقتهم مع القرآن؟

ودونـك حـال ابن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ الـذي قضى حياتـه كلها في الدعـوة، ومناكفة أهل البدع أقبل في آخر حياته على القرآن تلاوة وتدبُّرًا، وقال في آخـر حياته: «وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن»[1].!

والعلامة الشـنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحَب القرآن، وكانت له علاقة مميزة معه، حتى قال عن نفسه: «لا توجد آية في القرآن إلا ودرستها علـى حدة» أليس في القرآن ٦٢٣٦ آية؟ كل آية خصَّص لها وقتًا، وأفردها بالدراسة العميقة والتدبر الطويل.

كيف علاقتك مع القرآن؟ إن الحياة مع القرآن حياة مطمئنة، معها سكينة دائمة، لا يعرفها إلا من صاحب القرآن؛ لذا قال أهل الجنـة: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر: ٣٤] لأنهم عاشـوا مع القرآن، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩].

(١) العقـود الدريـة في مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي، تحقيـق محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي - بيروت (ص٤٤).

إذًا صحبة القرآن هي الصحبة التي يثبت نفعُها يوم يفر منك أقرب الأقربون وأولهم أبوك، وأمك وأخوك، بل وولدك وعشيرتك!

سيأتي يومٌ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: الآيات ٣٤-٣٧] وحين تلتفت يمينًا وشمالًا، فلا تجد إلا صاحبك الوفي، ذا الشأن العظيم، سيقف معك ليجادل عنك ويشفع لك، إنه القرآن «**اقْرَؤوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ**»[(١)].

❋❋❋

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

أثر القرآن على الفطرة السليمة

من أعجب قصص تأثير القرآن على القلوب السليمة، قصة إسلام الطُّفَيل بن عمرو بن طريف الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد جاء في صفوة الصفوة لابن الجوزي أن الطُّفَيل كان رجلًا شَريفًا شاعِرًا لَبيبًا، فقالوا له: «يا طُفَيلُ، إنَّك قَدِمتَ بلادَنا، وهذا الرجلُ الذي بين أظهُرِنا قد أعضَلَ بنا، وقد فرَّق جماعَتَنا، وشتَّت أمْرَنا، وإنَّما قَولُه كالسِّحرِ يُفرِّق بين الرَّجل وبين أبيه، وبين الرَّجُل وبين أخيه، وبين الرَّجُلِ وبين زَوجَتِه، وإنَّا نَخشَى عليك وعلى قَومِك ما قد دَخلَ علينا، فلا تُكلِّمَنَّه ولا تَسمَعَنَّ منه شيئًا». قال: فَوالله ما زالوا بي حتَّى أجمعتُ ألَّا أسمَعَ منه شيئًا ولا أُكلِّمه، حتى حَشَوتُ في أُذُنَيَّ حين غَدَوتُ إلى المسجِدِ كُرسُفًا[1] خوفًا مِن أن يَبلُغَني شيءٌ مِن قَولِه، وأنا لا أُريدُ أن أسمَعَه. فغَدَوتُ إلى المسجدِ فإذا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائمٌ يصلِّي عند الكَعبةِ. قال: فقُمتُ منه قريبًا، فأبى الله إلَّا أنْ يُسمِعَني بعضَ قولِه. قال: فسَمِعتُ كلامًا حَسَنًا. فقُلتُ في نَفسي: واثُكلَ أُمِّي، واللهِ إنِّي لرَجلٌ لَبيبٌ شاعِرٌ

---

(١) الكرسف: قطعة من القطن.

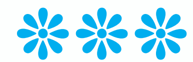
ما يَخفَى علَيَّ الحَسـنُ من القَبيحِ، فما يَمنَعُني أن أسـمَعَ من هذا الرَّجـلِ مـا يقـولُ؟ فإنْ كان الـذي يَأتي به حَسـنًا قَبلتُـه، وإن كان قَبيحًـا تَركتُـه. فمَكَثتُ حتى انصَرَف رسـول الله ﷺ إلى بيتِـه فاتَّبَعتُـه، حتى إذا دخـل بَيتَه دَخَلتُ عليه، فقلـتُ: يا مُحمَّدُ، إنَّ قومَـك قـد قالوا لي كـذا وكذا، للـذي قالوا؛ فوالله مـا بَرِحوا يُخوِّفونَني أمْرَك حتى سَدَدتُ أُذُنَيَّ بكُرسُفٍ لِئَلَّا أسمَعَ قولَك، ثمَّ أبَى الله إلا أن يُسـمِعَني قَولَك، فسَمِعتُه قَولًا حَسَنًا، فاعرِضْ علَيَّ أمْرَك. قال: فعَرَضَ علَيَّ رسـولُ الله ﷺ الإسـلامَ، وتلا علَـيَّ القُـرآنَ، فلا والله ما سَـمعتُ قولًا قطُّ أحسـنَ منه، ولا أمرًا أعدَلَ منه. فأسـلمتُ وشَـهِدتُ شـهادَةَ الحقِّ، وقلتُ: يا نبيَّ الله، إنِّي امرُؤٌ مُطاعٌ في قومي، وأنا راجِعٌ إليهم، وداعيهِم إلى الإسلامِ، فادعُ الله أن يجعلَ لي آيةً تكون لي عَونًا عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال: «اللَّهمَّ اجعَل له آيةً»[1].

ومن قوة القرآن أنه يدخل إلى منطقة لا يستطيع أحدٌ الوصول إليها، وهي منطقة الإيمان داخل القلوب، فالقرآن يدخل مباشـرة

(١) صفوة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٢٢٩).

ويتسلَّلُ لتلك المنطقة ويحرِّكها فيزيدُها إيمانًا، كما قال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: آية ٢].

وقصة الرجل العاتي الجبَّار العنيد الوليد بن المغيرة الذي ما تغيَّر وجهُه مثل تغيره حينما تُلِيَت عليهم آياتُ الله من فم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... إن بعض قلوب الرجال أقوى من الجبال، فإذا خالطها عناد واستكبار زادت قوتها، ومع هذا يزعزعها آيات تتلى، إن قوة القرآن من آثار قوة الله المتكلم به»(١).



(١) الشوق للقرآن لعقيل الشمري (ص ٣٢).

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا

كان من وصايا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن أصابه هَمٌّ أو حزَنٌ أن يقول: «اللَّهمَّ إنِّي عبدُكَ، ابنُ عبدِكَ، ابنُ أَمَتِكَ، ناصِيَتي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قضاؤُكَ، أسأَلُكَ بكلِّ اسمٍ هو لكَ، سمَّيْتَ به نفسَكَ، أو أنزَلْتَه في كتابِكَ، أو علَّمْتَه أحَدًا مِن خَلْقِكَ، أوِ استأثَرْتَ به في عِلمِ الغيبِ عندَكَ، أنْ تجعَلَ القُرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ بصَري، وجِلاءَ حُزْني، وذَهابَ همِّي»[1].

وممّن رُزق هذا الربيع أمُّ أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -حاضنة رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعندما تُوُفِّي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاها أبو بكر وعمر يزورانها، فلما رأتهما بكت.

فقالا ما يُبكيك؟ قالت: ما أبكيه! إني لأعلم أنَّ رسول الله قد صار إلى خيرٍ مما كان فيه، ولكني أبكي لخبر السماء انقطع عنا، فهيّجتهُما على البكاء فجعلا يبكيان معها.

وقد غيَّر القرآن مجرى حياة من كانوا في الضلالة أو المعصية تائهين.

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، والطبراني (١٠/ ٢١٠).

تأمل حال عابد الحرمين، أحـد أئمة الزهد والعبادة، الفُضَيل بن عياض وكيف كانت بداياته.

يقـول القشـيريُّ: كان الفضيل شـاطِرًا، يقطـع الطريـق بيـن أبيورد وسـخس، وكان سببُ توبته أنَّه عَشِق جاريةً، فبينما يرتقي الجدرانَ إليها، سمع تاليًا يَتْلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديـد: ١٦]، فقال: يا ربِّ، قد آن، فرجَع، فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها رفقةٌ فقال بعضهم: نرتحل، وقال قومٌ: «حتَّى نُصْبِـح؛ فإنَّ فضيـلًا على الطريق يقطـع علينا»، فتـاب الفضيل، وأمَّنَهم، وجاور الحرَم حتَّى مات[١].

نحن بحاجة حقًّا إلى إعادة النظر في علاقتنا مع القرآن، وتفقدها وتقويتهـا، فكلما أقبلنا على تلاوة القـرآن، وتدبُّره، وفهم معانيه، ازددنا هدى وتُقى، وارتقينا في أعلى درجات الإيمان. فهنيئًا لمن حمل القرآن في صدره، فجعله سـراجًا يسـتنير به ويهتدي به، وبه يتصبَّر ويستبشر.

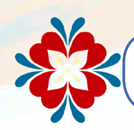
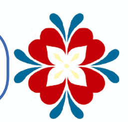
(١) الرسالة للقشيري، (١/ ٥٧، ٥٨).

أسـأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزُقَنـا لـذَّةَ العيش مع كتابـه العزيز، وأن يُصلِح به قلوبنا، وأن يجعله شفيعًا لنا وحجةً لنا لا علينا.

اللهـم وارزقنـا فهمه وحفظـه والعمل بـه، وآخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المحتويات

❊❊❊



التصميم الداخلي للكتاب
ثروت سلطان
Tharwat Sultan
للتواصل:
00201019530152
TharwatSultan@yahoo.com